

التسرب المدرسي في ظل البناء الأسري

"رؤية سوسولوجية تحليلية"

أ/ أحمد فريجة

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

جامعة بسكرة

Résumé :

المخلص:

Le phénomène de la déperdition scolaire se représente comme un défi au système éducatif car ses répercussions sont désastreuses car elles dépassent le cadre éducatif pour se retentir sur toutes les réactions sociales.

La gravité des séquelles que laisse ce phénomène qui va au-delà de l'individu pour infecter le système social.

A partir de ce constat la présente étude a pour objet, en premier lieu, de cerner le concept « la déperdition scolaire » avec ses deux aspects linguistiques et conceptuels puis une analyse de ce dernier dans un contexte sociologique en mettant en exergue le facteur familiale avec ses différentes facettes pour arriver à une déduction qui rendra cette substance un champ de recherche intelligible.

تعد ظاهرة التسرب المدرسي إحدى المشكلات الرئيسية التي تمثل تحدياً للنظام التربوي إن في سياق المردودية البيداغوجية الداخلية أو ضمن مجتمع الانتماء لكون النظام التربوي نظاماً اجتماعياً يدخل في تفاعل تبادلي مع بقية النظم الاجتماعية الأخرى.

وبالنظر إلى خطورة الآثار التي تتركها تلك الظاهرة، والتي لا تتوقف عند حدود الفرد بل تتعداه إلى جميع نظم المجتمع ومجالات الحياة فيه، فإن مواجهتها تستوجب تحركاً اجتماعياً مؤسساتياً مدروساً وفق رؤية استراتيجية تلزم كل الفاعلين ذوي الصلة، ومن هنا جاءت هذه المقالة لتتناول موضوع التسرب المدرسي في ضوء البناء الأسري، حيث تطرق بدايةً ضبط مفهوم التسرب المدرسي من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية ومن ثم تتصدى له بمعالجة تحليلية سوسولوجية مدارها الرئيس مجال يرى فيه أنه مخرج العامل الأسري على تعدد وتنوع مكوناته.

مقدمة:

يشغل التسرب المدرسي أذهان العديد من البيداغوجيين وعلماء النفس وعلماء الاجتماع بوصفه ظاهرة معقدة مع المرغوب اجتماعيا وتعليميا لما يمثله من إخفاق في الأداء المنوط بالنظام التربوي المؤسساتي غير أن في ذلك المذهب إغفال لحقيقة أوفى تستوجب التوقف فحفا وتقصيا وتحقيقا، إذ ليس التسرب المدرسي ظاهرة منعزلة يمكن أن تفهم علميا ضمن السياق الرسمي للتربية فهي شأن يتعلق بمؤسسات المجتمع الأخرى، التي يجيء في صدارتها النظام الأسري باعتباره الوسط التلقائي الحاضن للتلميذ والضامن لسيرورته التنشيطية لاحقا، إذ على المنزل تقع المهمة الأولى لما يرجحه كعامل تربوي من قوة تأثير على باقي العوامل التربوية الأخرى وليس خافيا أن الأسرة بناء اجتماعي تتكامل فيه الأدوار بين مكوناته وتتنمط فيه السلوكات وتتنظم فيه التفاعلات على النحو المؤهل للحياة الاجتماعية ومن ثم فإن مخرجات هذا البناء تتألى تأثيراتها تباعا في حلقات ودوائر يأخذ بعضها برقاب بعض ويكون منها النجاح في المدرسة أو الإخفاق فيها وهو ما تسعى المقالة إلى إيابته من خلال تحليل واصف لشيء من التراثيات ذات الصلة بأدب الفكرة المطروحة هكذا تتم الإشارة بداية إلى:

مفهوم التسرب المدرسي ثم البناء الأسري والتسرب المدرسي وأخيرا تخريج موقف يوضح العلاقة موضوع البحث.

أولا: مفهوم التسرب المدرسي:

اختلف الدارسون عادة في تسمية وضعية التلاميذ الذين انقطعوا عن الدراسة قبل إتمامهم المرحلة التعليمية التي التحقوا بها بغض النظر عن طبيعة انقطاعهم أكان إزاميا أم اختياريا، حيث يطلقون على هذه الوضعية عدة أوصاف منها الهروب المدرسي، التعثر الدراسي، التأخر الدراسي... الخ مما أدى إلى صعوبة تحديد معنى التسرب المدرسي والذي قد يعود إلى اختلاف مدلوله تبعا لتباين المقاييس المعتمدة في ضبطه من نظام تعليمي إلى آخر.

من هنا ارتأينا أن نبدأ بمحاولة تجاوز العائق المفاهيمي الذي يمثلته حد" التسرب المدرسي" وهذا عن طريق استعراض جملة من التعريفات اللغوية والاصطلاحية عنه، علنا نصل إلى مقاربة معناه في عمقه.

1-1- التعريف اللغوي:

فمن جهة، نفق على أن القواميس اللغوية تؤكد على معنى الخروج فالتسرب في عرف اللغة العربية هو :

- تسرب: يتسرب، تسربا الماء: سال- القوم في الطريق: تتابعوا. الجاسوس في البلد: دخله خفية⁽¹⁾

- ومنه قولهم تسربت الأخبار إلى العدو أي: انتقلت خفية⁽²⁾

- وتسرب الجمع انسحب، ومنه انسحاب وتسلل، ونقول تسرب المرض أي: تقشى، وتسرب الخبر أي: ذاع⁽³⁾.

كما يعني التسرب لغويا الانسياق والخروج، فنقول تسرب الماء: أي نزل وخرج من مكانه⁽⁴⁾.

وجاء لفظ التسرب في موقع لغوي آخر على النحو الآتي: خرج وسرب في الأرض يسرب سربا ذهب، طريق سرب تتابع الناس فيه⁽⁵⁾ إضافة إلى ذلك، فإن كلمة تسرب الرجل تعني ذهب على وجهه، وتسرب في البلاد دخلها خفية كقولك تسربت الجواسيس، وسرب الإبل وتعني أرسلها قطعة قطعة⁽⁶⁾.

1-2- التعريف الاصطلاحي:

ومن جهة أخرى نجد للتسرب المدرسي تعريفات اصطلاحية عديدة ومختلفة تحاول تقديمه في إطاره المدرسي الضيق بتحديد مفهومه بدقة كما هو رائج اليوم في الميدان البيداغوجي، فمنظمة اليونسكو مثلا تعتبره نتيجة للتعثر الدراسي - جراء صعوبات معينة تحول دون استيعاب التلاميذ للأهداف العامة المسطرة للتعليم القاعدي- حين عرفته بـ " أنه عبارة عن العدد الهائل من التلاميذ الذين لا يتمكنون من اكتساب جملة المهارات التي تلقن لهم خلال مرحلة التعليم الابتدائي لسبب أو لآخر"⁽⁷⁾ لذا رد البعض التسرب إلى عدم قدرة المتعلم على مواصلة سنوات الدراسة المقررة بصورة

طبيعية، نظرا للاختلال وعدم التوافق بين مهارات التلميذ ومؤهلاته الطبيعية وما يجنيه من الدراسة، ومن هنا وصفوه من خلال تعريفهم له "بأنه الحالة المختلفة التي تشير إلى شخص ما، لم يتخرج من برنامج تربوي مصرح به من قبل بلد ما"⁽⁸⁾.

وفي نفس السياق اعتبر آخرون التسرب المدرسي مؤشرا على ضعف التلميذ وعجزه عن متابعة الدروس وفق البرنامج المقرر مما حرمه من الوصول بصورة إجمالية لمستوى تعليمي معين حين عرفوه بـ " أنه انقطاع الطالب (التلميذ) عن الدراسة انقطاعا كلياً قبل أن يتم المرحلة التي يدرس فيها وهو نتيجة من نتائج التأخر الدراسي"⁽⁹⁾.

إن مجمل هذه التعريفات التي استعرضناها قد نظرت إلى التسرب من زاوية تحصيلية في المجال المدرسي متخذة من انقطاع التلميذ جراء إقصائه من قبل المؤسسة التعليمية التي كان يدرس فيها نظرا لعدم قدرته على مواصلة الدراسة والنجاح في تحقيق الأهداف المسطرة، لأنه لا يمتلك القدرات التي تمكنه من اللحاق بزملائه دراسياً.

بينما نجد في الجهة المقابلة تعريفات أخرى ربطت بين التسرب المدرسي وانقطاع التلميذ عن الدراسة جراء تخليه عنها حين عرفته بـ " أنه انقطاع التلميذ عن مواصلة الدراسة لأي سبب من الأسباب، سواء أكان هذا الانقطاع في بدء أو في أثناء العام الدراسي، وفي أي صف من صفوف المرحلة الابتدائية"⁽¹⁰⁾ وفي تعريف مشابه يعرف التسرب المدرسي بـ " أنه كل من يترك التعليم في أي مستوى من المستويات يطلق عليه متسرب، ويقصد بذلك ترك سلك التعليم بغض النظر عن أسباب ذلك سواء كانت صحية أو اقتصادية أو اجتماعية"⁽¹¹⁾.

وفي موقع آخر لكنه يصب في نفس السياق اعتبر التسرب المدرسي هو "ترك الطالب (التلميذ) للمدرسة لسبب من الأسباب قبل نهاية السنة الأخيرة من المرحلة التعليمية التي سجل فيها"⁽¹²⁾ نستطيع أن نلاحظ بسهولة أن هذه التعريفات قد اتفقت على اعتبار انقطاع التلميذ وتخليه عن الدراسة معياراً لتسربه المدرسي إلا أنها لم توضح سبب هذا التخلي هل تم بمحض إرادته أم لأسباب موضوعية قاهرة؟ كما أنها اختلفت في تحديد المرحلة التعليمية التي يتم فيها هذا الانقطاع.

عموما ما يمكن استخلاصه من خلال استعراضنا لجملة التعريفات السابقة، أن التعريفات الثلاث الأولى اعتبرت الانقطاع الذي يتم عن طريق الإقصاء من قبل المؤسسة التي كان يدرس بها التلميذ معيارا لتسربه المدرسي، في حين أن التعريفات الثلاث المنتمية للمجموعة الثانية اعتمدت على الانقطاع باعتباره تخليا عن الدراسة لأسباب ذاتية كانت أم موضوعية في تحديدها لمفهوم التسرب المدرسي، وتركيبا لما سبق

سنورد تعريفا حاول أن يجمع بين جملة المعايير التي تمت مراعاتها في تحديد التصنيفين التي أدرجت في خانتيهما التعريفات السالفة الذكر مجتمعه، حيث اعتبر هذا التعريف التسرب بـ" أنه مصطلح عام يطلق على كل من تلفظه المنظومة التعليمية (لا التربوية)، ويشمل أيضا التخلي عن الدراسة والنفور المدرسي، وحتى الذين يتوجهون إلى التكوين المهني"⁽¹³⁾ على الرغم من أهمية هذا التعريف وشموليته التي استمدها من خلال توسيعه لقاعدة المعايير التي اعتمدها في ضبطه إلا أن صاحب المقال يقدم تعريفا يراه أكثر التصاقا بواقعنا الاجتماعي والتربوي حين عرفه على النحو التالي:

"هو توقف التلميذ عن متابعة الدراسة سواء عن رغبة وطوعية، أو بسبب ظروف صحية أو تربوية أو اقتصادية أو اجتماعية قاهرة. ترتب عنه خروجه إلى معترك الحياة دون حصوله على شهادة تتوج المرحلة التعليمية التي سجل فيها".

ثانيا: البناء الأسري والتسرب المدرسي

تعتبر البيئة الأسرية هي المحطة الأولى في حياة التلميذ لما تلعبه من دور أساسي في تكوين شخصيته من النواحي التربوية والنفسية والاجتماعية، وتطويرها التطوير المناسب كما أنها هي التي تحدد ما سيكون عليه مستقبله الدراسي نجاحا أم فشلا، الأمر الذي دفع بالبعض إلى الاعتقاد بأن العامل الأسري يعد من أهم العوامل التي تسهم بقدر كبير في إبراز ظاهرة التسرب المدرسي هذه الأخيرة التي نحاول تناولها في ضوء الأبعاد الأسرية المختلفة التي استتبنتها وفق التدرج التالي:

-البيئة الأسرية للطفل وعلاقتها بتسربه المدرسي-

تبدأ علاقة الطفل بأسرته منذ الميلاد وتستمر حتى يستكمل استقلاله وهذه العلاقة لا بد أن تخضع لأنماط معينة من القواعد السلوكية السائدة داخل الأسرة هذا من جهة، كما ينبغي أن تسير وفقا لخطة موضوعية من قبل ذلك من جهة أخرى نظرا لأن العوامل التي تحكم تلك تبلغ من الكثرة والاختلاف حدا كبيرا، كما إنها دائمة التغير تبعا لنمو الطفل العقلي والانفعالي الأمر الذي يقتضي من أفراد الأسرة أن يكونوا على أتم الاستعداد لمواجهة الظروف المختلفة كما هي في الواقع، لا كما ينتظرون أن تكون. ولهذه العلاقة أهمية بالغة في نمو شخصه الطفل وفي تقرير مصيره الدراسي⁽¹⁴⁾.

نظرا لكون هذا الأخير لا يلتحق بالمدرسة إلا بعد أن يكون قد اكتسب اتجاهات معينة نحو مواجهة المواقف في حياته، وتكون شخصيته قد تشكلت واستقرت بدرجة كبيرة، فإذا اعتاد الطفل التغلب على العقبات باستخدام ذكائه، نشأ قويا، وإذا لم يعتد الاعتماد على نفسه في التكيف مع المتناقضات التي تواجهه، قد يغلب عليه اليأس، وتدركه خيبة الأمل، وينشأ ضعيفا في أسلوب حياته، فالبيئة الأسرية هي التي تعكس نوع خبرات الطفل، كما أنه عن طريقها يتم غرس عادات السلوك الاجتماعي لديه مثل: التعاون واحترام الآخر وأداء الواجب، وتحمل المسؤولية، كما يتأثر النمو العقلي للطفل بمقدار نوعية المتاح له من أدوات اللعب، ويؤثر المناخ الأسري وطبيعة العلاقات الداخلية بين أفرادها في النمو الوجداني له، كما أن تمرينه في محيط الأسرة على أمور النظافة الشخصية والسلوك المهذب، يؤدي إلى تقبل الجماعة له... كما تؤثر سلوكيات الأبوين وردود أفعالهما اتجاه المواقف الأخلاقية في نموه الأخلاقي... بالإضافة أن الهوايات والمهارات التي قد تظهر لدى الطفل تعود بالدرجة الأولى إلى تشجيع والديه أو أحد أفراد أسرته له على ممارستها⁽¹⁵⁾.

مما سبق يتضح لنا أن الأسرة تشكل المحيط الأول الذي يدخل فيه الطفل بعد ولادته مباشرة، وهي المجال الذي يكون فيه أسس شخصيته النفسية والجسدية والعقلية والسلوكية، كما تعد الإطار العام الذي يعطي للطفل جميع الأدوار الاجتماعية المتعددة التي

يلعبها على مسرح الحياة وهي الأساس الذي يحيط باستجاباته المختلفة تجاه بيئته التي يعيش فيها.

وللتأكيد على أهمية الفضاء الأسري في هذا المجال نسوق ما كشفت عنه الدراسات السوسولوجية حول تأثير الظروف الاجتماعية المختلفة للأسرة في حياة الطفل من خلال دورها في تكوين شخصيته وميوله واختياراته التي يتوقف عليها فشله أو نجاحه الدراسي⁽¹⁶⁾ الأمر الذي يجعلنا نخلص إلى أن شخصية الطفل وإعداده للحياة- خاصة ما تعلق منها بشقها التعليمي- مستقبلا تحددها طبيعة الظروف السائدة داخل أسرته، بحيث إذا كانت هذه الأخيرة تعيش ظروفًا غير ملائمة من الناحية الاجتماعية مثل معاناتها من مشاكل داخلية كالصراع أو الحرمان فإن ذلك ينعكس سلبًا على قيامها بواجباتها تجاه أبنائها، حيث تفرط في تربيتهم كما لا توليهم العناية اللازمة لهم خاصة فيما يتعلق بمتابعة مسارهم الدراسي، مما يجعلهم يشعرون بأنهم ليسوا محل رعاية والديهم، وأنهم محرمون من حنانهم، الأمر الذي يفقدهم الأمان داخل الأسرة ويؤثر سلبًا على استقرارهم النفسي، مما يعيق دون شك قيامهم بنشاطهم الدراسي بصورة طبيعية والذي قد ينجر عنه تضرهم في مجال التحصيل العلمي، ويؤدي بهم إلى تغيير اتجاهاتهم نحو العلم والمعرفة والتي يعبرون عنها من خلال نفورهم من الدراسة، الذي قد يلقي بهم بعد ذلك في مهالك التسرب المدرسي⁽¹⁷⁾.

- طبيعة العلاقات الأسرية وارتباطها بالتسرب المدرسي للطفل:

بالإضافة إلى ذلك فإن عدم التوافق الأسري والذي تعكسه الخلافات والمشاجرات الدائمة بين الأبوين، يجعل الجو المنزلي مضطربًا ويحوّله إلى بيئة غير صالحة للتربية والتي لا تنتج في غالب الأحيان إلاّ الأطفال العاجزين على التحصيل الدراسي المفترض جراء الآثار السلبية التي يتركها ذلك الجو المنزلي على نفسيتهم والتي تظهر في صورة عدم أمان عاطفي، خوف من الهجر، حزن، شعور بالذنب، قلق، غضب، عدم استقرار، نزف، سلبية، هروب من الواقع، مواقف تبيعية، أو لامبالاة⁽¹⁸⁾.

تأسيسًا على ذلك فإن بعض الأمراض النفسية التي يصاب بها الأطفال يكون مردها المشاكل المستمرة بين الوالدين والتي قد تمتد آثارها إلى فشلهم في الدراسة ومن

ثم التسرب منها كما قد تتطور تلك المشاكل بين الأبوين لتصل حد الانفصال بينهما سواء عن طريق الطلاق، أو بانشغال الأب عن المنزل جراء زواجه من امرأة ثانية، مما يجعله يهمل أبناءه الذين ينغص عليهم هذا الوضع الأسري المتوتر عيشتهم فيذهبون إلى المدرسة وفي أذهانهم صور مخيفة ومشوهة عن الحياة الأسرية، فيتشتت انتباههم، مما ينتج معه إعاقة تكيفهم مع المحيط المدرسي، فيحيدون عنه إلى أمور أخرى.

يتضح مما سبق أن التلاميذ الذين يوجدون في بيئة أسرية معتلة في علاقاتها الاجتماعية هم عادة من يعانون من مشكلات دراسية، ولتأكيد صدقيه هذا الاستنتاج نسوق ما استخلصته "سيرفانتسي" من خلال دراستها التي أجرتها عام 1965 ونشرت في "ميتشجان"، حيث وصفت طبيعة الجو الأسري "المؤسف" الذي يسود بيوت التلاميذ المتسربين والذي يتصف بضعف التفاهم أو التواصل أو القبول المتبادل بين أفراد الأسرة، وبعدم المشاركة بينهم في مناسبات سارة تربط بينهم، ومن هنا فان تماسك الأسرة يكون محدودا جدا. كما وجد أن الأبوين لا يكونان عادة متوازنين أو منسقين في حبهما أو تأديبهما للأطفال الذي يكون عددهم في الغالب أكثر مما يستطيع الأبوان معه ضبط سلوكهم بشكل ميسور. حيث أكد في هذا المجال "جوردون ليدل" أن هناك ارتباطا طرديا بين حجم الأسرة والتسرب المدرسي بمعنى كلما كبر حجم الأسرة كلما زاد تسرب الأبناء⁽¹⁹⁾.

زد على ذلك فان للأجواء الأسرية المضطربة مخاطر عديدة على النمو الطبيعي للناشئة. حيث يقول في هذا الصدد الأخصائي الاجتماعي "صابر محمد المغربي".
 "إذا كان جو البيت مشحونا بضغط انفعالية فإنها تحرم الطفل (التلميذ) من إشباع رغباته وعلى الأخص المقومات اللازمة لنموه النفسي والجسدي"⁽²⁰⁾. حيث يشكل لديه هذا الأمر إباطات تزيد من معاناته النفسية، والتي تعيقه بدورها على القيام بنشاطه الدراسي على الوجه المطلوب مما يترتب عنه الفشل فيه ومن ثم التسرب منه.

- أساليب التنشئة الأسرية للطفل وعلاقتها بالتسرب المدرسي :

هذا عن الجو الأسري المشحون وتأثيره السلبي على المردود التربوي للتلميذ (الابن) أما إذا تحدثنا عن أساليب التنشئة الاجتماعية التي تستهدف بها الأسرة ابنها والتي

يعد من أهم أسسها تعليمه تحمل المسؤولية منذ الصغر ولا يترك هذا الأمر إلى مرحلة متقدمة من العمر، فتعليمه ذلك يجعله يعرف مسؤوليته اتجاه نفسه واتجاه أبويه فيردعه ذلك عن التسرب من المدرسة لأن ذلك من مسؤوليته اتجاه نفسه، وعندما يكبر سيتحمل مسؤولية النهوض بالمجتمع، وينبغي أيضاً ألا ننسى زرع الطموح في الطفل للارتقاء بذاته وإقناعه أن طموحات المستقبل لا تتحقق إلا بالتعلم⁽²¹⁾.

كما تقتضى التنشئة السوية للطفل من قبل الأسرة أن توفر له الأمن والطمأنينة والحماية والشعور بالثقة ورعايته بجو من الحنان والمحبة، حتى يكتسب عن طريق ذلك شخصية متوازنة قادرة على تمثيل المهارات والخبرات التي تدرّب عليها داخل الأسرة لكن لو عدنا إلى واقع التنشئة الاجتماعية في الثقافة العربية والتي منها ثقافتنا نجدها تتسم بالتسلط والقمع الذي يمارس من قبل الأب الرازح هو نفسه تحت نير التسلط في الحياة الاجتماعية بمختلف جوانبها، فالتنشئة الاجتماعية للطفل في ثقافتنا تقوم على تطبيقه للانصياع لإرادة الكبار⁽²²⁾، وذلك عن طريق التسلط، مما يؤدي إلى ترك آثار سلبية على شخصيته في المراحل اللاحقة، وعلى صحته النفسية والبيولوجية والاجتماعية مما يجعله غير قادر على ملاحقة رفاقه في مجال التحصيل الدراسي الأمر الذي يدفعه إلى التسرب من المدرسة.

وللتدليل على أهمية طبيعة العلاقة الوالدية في عملية التنشئة الاجتماعية ودورها في تقرير مستقبل الابن دراسياً، نستعرض ما توصل إليه "ليشتر" وزملاؤه من خلال الدراسة التي أجروها على المدارس الحكومية بشيكاغو عام 1962، حيث وجدوا تشابهاً قوياً بين أنماط شخصية التلاميذ المتوقع تسربهم وبين أنماط شخصية والديهم، حيث كان الوالدان في الكثير من الحالات ممن يتسمون بشخصيات غير ناضجة، وكانت علاقتهم بأبنائهم عموماً مشوهة وغير صحيحة⁽²³⁾.

بالإضافة إلى ذلك فقد كشف الفحص العيادي الإكلينيكي للطفل الفاشل دراسياً عن وجود اضطرابات في التعلم لديه مرتبطة بصعوبات التماهي: اضطراب التعلم (أو عدم التعلم) يكون إذن العرض للتطور العاطفي المشوش، فالأب القليل الحضور، الضعيف، المنخفض القيمة لا يشكل نموذجاً للتماهي مقبولاً بالنسبة لابنه. والأب المفرط في تسلطه

أو القاسي الشرس يبدو بالغ الخطورة في نظر ابنه الذي لا يجروء على منافسته⁽²⁴⁾ بل ينقاد إلى رغباته وقبول ما يفرضه عليه من أوامر ونواهي مما يفقده روح المبادرة والاستقلالية.

ومن مظاهر استبداد هذا الأب أيضا عدم تقديره لمطالب ابنه (التلميذ) ولقدراته الفردية أو انفعالاته المختلفة، وغير ذلك مما قد يكون سببا في بعث جو من القلق والاضطراب لديه والذي يؤثر حتما على حياته الدراسية من خلال تأخره فيها⁽²⁵⁾ وتسربه منها بعد ذلك.

كما قد يظهر تجاهل بعض الآباء للقدرات الذاتية لأبنائهم عن طريق إسقاط طموحاتهم عليهم، بحيث يريدون لهم نجاحا باهرا يشبع لهم هذا الطموح، ويحقق لهم الأهداف التي افنقدها أو التي كانوا يتمنون الوصول إليها، فيعتمدون على وسائل تربوية خاطئة تتمثل في القسوة والضبط الشديد والإكراه على زيادة التحصيل الدراسي والتفوق فيه فتقلب الأمور إلى العكس تماما، فيفر الأبناء من هذا الضغط الذي لا يطيقون احتماله وذلك عن طريق هجرهم للمدرسة⁽²⁶⁾.

علاوة على ذلك فقد يمتد استبداد الأبوين تجاه ابنهما إلى تدخلهما في اختيار أصدقائه وعدم السماح له بالخروج أيام الراحة وإلزامه بالمكوث في البيت وزيادة الرقابة عليه من قبلهما مما يشعره بعدم التمتع بحريته، وبأنه محروم من أشياء كثيرة، وبأنه عبء على أبيه، وغير ذلك من المشكلات التي يلاقيها في محيطه الأسري، والتي يكون السبب فيها والداه الأمر الذي يؤدي به إلى النفور من هذا الوسط وبالتالي سوف يكون له أكبر الأثر على سلوكه وتعليمه ومستوى تحصيله الدراسي⁽²⁷⁾ حيث يتأخر في هذا الأخير مما يرغبه على مغادرة مقاعد الدراسة.

عظفا على سبق أكد " بيرت " أن قسوة الأب وضعف المثيرات الحسية داخل الأسرة يساهم في الضعف العقلي للتلميذ، ويسوقه إلى التخلف الدراسي⁽²⁸⁾، كما قد تؤدي القسوة المطلقة على الابن إلى ازدياد حالته سوءا مما ينجر عنه عواقب وخيمة تؤثر على تكيفه في الوسط الاجتماعي عامة والمحيط المدرسي خاصة حيث ينسحب من هذا الأخير تعبيراً عن اختلال علاقته به.

وهناك ضغط من نوع آخر يعايناه الطفل (التلميذ) سببه الوالدان المتشددان اللذان لا يجد عندهما التفهم لظروفه التعليمية عندما يعرض عليهما كشف النقاط خاصة إذا كانت النتائج التي تحصل عليها متدنية يقابل في هذه الحالة بالنفور والصياح والتهديد والقصاص مما يجعله يعمد في المرات القادمة قصد الإفلات من هذا الموقف المحرج الذي يمثل محنة بالنسبة إليه إلى تزوير أو إخفاء كشف النقاط، فيكون أبواه قد أضافا مشاكل جديدة إلى المشكلة الأساسية التي هي التخلف الدراسي⁽²⁹⁾، والذي يعد أحد العوامل الرئيسة للتسرب المدرسي.

كما قد يكون طموح الوالدين المتعلق بمستقبل ابنهما يتخطى قدراته وإمكاناته واستعداداته، حيث يسبب لهما ذلك قلقا على مستقبله، هذا القلق الذي ينتقل بدوره إلى الابن نظرا لأنه وجد نفسه يعيش صراعات بين عدم قدرته على تحقيق هذه الطموحات ومستوى إمكاناته الفردية⁽³⁰⁾، حيث ينتج عنه قيامه برد فعل معاكس يؤدي إلى تعثره دراسيا الأمر الذي يدفعه إلى مغادرة الدراسة هروبا من هذا الضغط الشديد الممارس عليه من قبل والديه.

زيادة على ذلك فقد تتحول القسوة ضد الأبناء إلى نظام دائم للعقاب، المقرون بالعنف، والذي يصل أحيانا عند بعضهم إلى مستوى السادية حيث يستعمل السوط أو العصا الغليظة و" الفلقة" عندئذ تخرج القسوة عن محتواها التربوي إلى الإساءة للكرامة الإنسانية، التي تدفع بالأبناء إلى التعثر الدراسي وترك المدرسة.

وهناك شدة من نوع آخر، هي الشدة أو القسوة المعنوية والتي تتمثل في الدعوة إلى الإحتشام الشديد عند الطفل كأن نمنعه من الضحك والخروج من البيت والراحة، واللعب مع الرفاق... إن هذه الشدة تقيد عالم الطفل الذي لا علاقة له بكل ما ذكر، فهو يريد أن يعيش طفولته، إنها مرحلة حاسمة من مراحل العمر تترك في الإنسان آثارا قد تكون إيجابية وأخرى قد تكون سلبية حيث قد تعرضه هذه الأخيرة لأزمات شديدة وكثيرة أقلها التأخر الدراسي⁽³¹⁾، الذي يعد البداية الفعلية للتسرب المدرسي.

- كما يعد رفض بعض الآباء لأبنائهم كذلك لونا آخر من ألوان العنف المعنوي المسلط على هؤلاء حيث لا يتقبلونهم ولا يستحسنون منهم شيئا ولا يرفضون سلوكياتهم

الخاطئة فحسب وإنما يرفضونهم كليا الأمر الذي يجعلهم يشعرون بعدم التقبل والإحساس بالدونية وقلة القيمة مما يجعلهم متمردين وناقمين وغير منجزين بالإضافة إلى ذلك فإن حرمان بعض الآباء لأطفالهم من تلبية وإشباع حاجاتهم الخاصة وتقديم الدفء والحنان لهم يرسخ لديهم الشعور بالظلم وعدم الشعور بالأمن خاصة إذا امتد هذا الرفض إلى إهمالهم من خلال عدم متابعتهم فيما يخص ذهابهم أو مواظبتهم أو توجيههم لمواعيد الدراسة مما يطور لديهم سلوكيات غير متكيفة في محيط كل من الأسرة والمدرسة⁽³²⁾.

علاوة على ذلك فقد يكون لهذا الرفض عواقب أخرى غير سارة تؤثر على نفسية الطفل حيث أثبتت في هذا المجال العديد من الدراسات: أن اضطرابات الانتباه والضمور وعدم الاستقرار والانطواء على الذات أو الهروب إلى عالم الخيال هي أعراض تعبر عن الاضطرابات العاطفية للطفل الذي يعاني من المواقف الراضية لأهله⁽³³⁾، وقد تمتد تلك المعاناة إلى فقدانه لتوازنه النفسي والذي يؤثر بدوره على انضباطه المدرسي وبمهد الطريق أمامه للتسرب. هذا من جهة ومن جهة أخرى قد يدفع جهل الأسرة لأصول التنشئة الاجتماعية إلى عدم تفهم تصرفات ابنها خاصة إذا كان يمر بمرحلة المراهقة وما يرافقها من اضطرابات في شخصيته وما يتبعها من مشاكل في مثل هذا الوضع تكون نظرة الأسرة للابن على أنه الفاشل الذي يتمرد على سلطتها، في حين ينظر هو إلى أفراد أسرته على أنهم متسلطون ومتخلفون، مما يؤدي في نهاية المطاف إلى التأثير على النشاط الإيجابي لديه داخل الأسرة والمجتمع، ويدفعه إلى القيام بالأعمال السلبية والتي منها ترك المدرسة⁽³⁴⁾، كما أن عدم معرفة الأسرة بأساسيات التربية قد يظهر من خلال إشعارها لابنها بالمهانة وبالتقصير وعدم الصلاحية للتعليم أو بمقارنته بإخوته أو بأبناء الجيران بطريقة عنيفة مشفوعة باللوم الشديد والعتاب المر، الأمر الذي من شأنه أن يدفع به إلى أحضان رفقاء السوء حيث يجد عطفاً لديهم زيادة على بعض الإغراءات بأنواع اللعب أو النزاهات أو ممارسة بعض الأنشطة التي حرم منها في بيته⁽³⁵⁾، مما يشعره بمتعة بالغة عند ارتباطه بهم مع العلم انه عادة ما يكون هذا النوع من الرفاق ممن ينتمون إلى المجموعة المشاكسة التي تستمتع جيدا بعدم المواظبة على الدرس كما يجد في الانضمام إليهم متفلسا لإشباع الدوافع نظرا لما يهيئون له من فرص السلوك الذي تقاومه بالأخص

كل من الأسرة والمدرسة مثل انصرافه عن الدراسة واندفاعه نحو اللهو واللعب والعبث، أو القيام بممارسات مضادة للمجتمع مما يؤدي به في النهاية إلى تدمير مستقبله، وربما الجناية عليه.

بالمقابل فإنه على الرغم من أهمية الحنان والعلاقة الحسنة بين الطفل ووالديه خاصة أمه، حيث تتحكم هذه الحالة الانفعالية في جزء كبير من المستقبل اللاحق للطفل فيدفع به إلى النجاح أو الفشل⁽³⁶⁾، لذا فإن معاملته برعاية زائدة من قبل أسرته تسبب له نوعاً من التساهل في انتظامه للذهاب إلى المدرسة والمواظبة على الدراسة والتزامه المدرسي مما يدفعه إلى التسرب. لذا فإن التساهل الشديد والتسامح المبالغ فيه مع الطفل بدعوى الحرية التي تسمح له بعقد الصلة بينه وبين الحياة فيتركونه يعيش على هواه حيث يجعله ذلك يخرج عن الأطر التربوية إلى الإهمال والتقصير والتسيب⁽³⁷⁾.

وقد يتجلى هذا التساهل في التعامل مع الطفل في شكل حماية زائدة له وعاطفة شديدة نحوه وبخاصة الأم التي تشعره منذ الأيام الأولى لذهابه إلى المدرسة وكأن هذه الأخيرة قد انتزعت منها، فتظهر نتيجة لهذا الشعور المزيد من العطف والاهتمام، وذلك ما يثير تساؤلات الطفل (إنها) ويشكل لديه علامات إستفهام حول هذه المؤسسة الجديدة التي تبعد عن أمه، وتسبب قلقها الشديد والذي يلمسه من خلال سلوكياتها نحوه التي تبلغ أحياناً حد المبالغة. وبذلك تتشكل عند الطفل نواة الشعور بالكراهية والنفور من المدرسة، بناء على التصور الذي تكون لديه⁽³⁸⁾.

مما سبق يمكننا القول أن التنشئة الاجتماعية التي تعتمد أساليب غير سوية سواء أكانت قسوة أو حناناً زائداً تؤثر بشكل واضح على التكيف الإيجابي للطفل وتجعله عنصراً غير فعال في محيطه الواسع بوجه عام والمدرسي بوجه خاص.

وبالتالي فإن التذبذب في معاملة الوالدين، يؤدي إلى شعور الابن بالارتباك وعدم الأمن والذي يظهر في فشله في التعرف على السلوكيات المقبولة وغير المقبولة الأمر الذي يقوي لديه النزعة الفردية في التصرف، مما يجعله يتجه لأساليب سلبية تعجزه عن الاندماج بيسر في الوسط الذي يعيش فيه هذا الأمر أكدته العديد من الدراسات النفسية والاجتماعية التي كشفت على أن معظم المشكلات التي يتعرض لها التلميذ (الطفل) ترتبط

إرتباطا وثيقا، بأساليب التنشئة الاجتماعية غير السوية هذه المشكلات التي يمتد أثرها في علاقته بغيره كعدم قدرته على مواجهة المواقف الاجتماعية المختلفة مثل الخوف من ارتكابه للأخطاء الاجتماعية، والخوف من مقابلة الناس، وعدم فهمهم، وعدم وجود من يسمع مشكلاته ويحلل أفكاره ويناقشه في كل ما له علاقة بشخصه، والتي يمكن أن تسهم في انحراف سلوكه، وتجعله غير قادر على الاستمرار في الدراسة⁽³⁹⁾.

ـ المستوى الثقافي لأسرة الطفل وعلاقته بالتسرب المدرسي:

ومن جانب آخر لا ينبغي في هذا المجال الفصل بين أساليب التنشئة الاجتماعية غير السوية التي تعتمد الأسرة في تعاملها مع أبنائها ومستواها الثقافي الذي يعد أحد المؤشرات الدالة على وضعها الاجتماعي، حيث تبين أنه من النادر أن تتمكن الأسرة ذات المستوى الثقافي الضعيف من مساعدة أبنائها في دراستهم بكيفية جيدة وصحيحة⁽⁴⁰⁾. لأن مستواها لا يسمح لها لكي تهتم بمواظبتهم على المدرسة والاعتناء بأدائهم لواجباتهم أو متابعة مسارهم الدراسي أو نقص نتائجهم، بالإضافة إلى ذلك تكون غير قادرة على أن تهيب لهم الظروف المناسبة التي تساعد على مراجعة دروسهم⁽⁴¹⁾.

عظفا على ما ذكر فإن أمية هذه الأسرة لا تساعد كذلك على معرفة القيمة والأهمية الحقيقية لمواصلة التعليم، ومن الطبيعي في مثل هذه الحالة أن لا تستطيع إقناع أبنائها بالعودة إلى المدرسة والالتزام بها إذا أرادوا تركها.

وفي تحليل مشابه لما سبق وان كان بشيء من التفصيل اعتبر البعض أن حالة الأسرة التي تعيش وضعاً تعليمياً وثقافياً كهذا -الأمية- تكون غير مبالاة للدراسة والتحصيل العلمي بحيث ينعكس هذا سلبي على دراسة أبنائها وتقدمهم العلمي، إن مثل هذه الأسرة لا تحث أبناءها على السعي والاجتهاد ومواصلة الدراسة ولا تسعى لأن توفر لهم المستلزمات والمقومات التربوية الأساسية التي تشجعهم على التحصيل العلمي الجيد، ولا تضع لهم الأهداف والخطط التربوية والعلمية والمهنية التي يسبرون عليها، ولا تكون باتصال مع المدرسة للتعرف على المشكلات الدراسية والعلمية للأبناء وبالتالي فإن تلك المؤثرات والعوارض التي تقابل بها الأسرة أبناءها لتسيهم ما تعلموه في المدرسة بل الأخطر من ذلك أن بعض الأفكار المسبقة والمشوهة وغير الصحيحة عن المدرسة التي

يحملها هؤلاء الأبناء قد يكون سببها وجودهم في مثل هذه الأسر التي تحمل قيما سلبية تجاه التربية والتعليم حيث يعد هذا الأمر من العوامل الأساسية والمسؤولة عن رسوبهم وتلك مسيرتهم الدراسية والعلمية⁽⁴²⁾ مما يمهد الطريق أمامهم للتسرب من المدرسة.

خاتمة:

يتضح من خلال المعالجة التحليلية لهذا الموضوع أن النظر إلى التسرب المدرسي ضمن العامل الأسري الفاعل لا يلغي بقية العوامل التي تتراعى أطرافها في مجالات أخرى تظهر بعض معالمها البارزة في الأبعاد الذاتية والتربوية والاقتصادية، وضمانا لشمولية التحليل فإن المنطق، يستوجب أخذ تلك المجالات في رؤية تحليلية تكاملية الطابع وهو ما يستدعي أكثر من بحث للظاهرة بوصفها واقعا ديناميا متعدد يجعل من الإمكان للجهاز الوصي على التربية أن يستفيد منها في فهمه للظاهرة وتوصيف العلاجات المناسبة لها.

الهوامش:

- (1) على بن هادية، بلحسن البليش، الجليلي بن الحاج يحي، القاموس الجديد للطلاب. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص.188.
- (2) خليل الجر، المعجم العربي الحديث. مكتبة لاروس، باريس، فرنسا، 1987، ص.295.
- (3) D.REIG, as - sabil- dictionnaire arabe français-. librairie Larousse-, Paris 6, 1980, P.250.
- (4) سامي عدوان، "ظاهرة تسرب الطلبة من المدارس الحكومية في منطقة الخليل التعليمية منذ عام 1987-1988 وحتى عام 1994-1995" مجلة التقويم والقياس النفسي والتربوي، العدد8، جامعة الأزهر، بغزة، فلسطين، سبتمبر 1996، ص.235.
- (5) أمينة هاشم، التسرب المدرسي بين تلاميذ المدارس، ندوة الثقافة والعلوم، دبي، الإمارات العربية المتحدة، 2003، ص.11.
- (6) محمد أرزقي بركان، التسرب المدرسي عوامله نتائج طرق علاجه مجلة الرواسي، العدد3، باتنة، الجزائر، سبتمبر 1991، ص.29.30.
- (7) الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، وزارة التربية الوطنية، مديريةية التقويم والتوجيه والاتصال، التسرب المدرسي في التعليم الأساسي والثانوي، الجزائر، فيفيري، 2000، ص.4.
- (8) شادية احمد التل، "التسرب المدرسي في الأردن: دراسة تحليلية". مجلة التربية والعلم، العدد10، جامعة الموصل، العراق، كانون الثاني، 1991، ص.481.
- (9) سعيد آل عيد، ونجلاء الدوسري، في تحقيق الجزيرة تستطلع آراء المختصين حول ظاهرة التسرب المدرسي وسبل علاجها، المستربون من المدارس بطالة وممارسات خارج النص، <http://w.w.ayna.com>
- (10) محمد عبد القادر احمد، استراتيجية التربية العربية لنشر التعليم الأساسي في الدول العربية. مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر، 1983، ص.33.
- (11) احمد حسين اللقاني، على احمد الجمل، معجم المصطلحات التربوية المعروفة في المناهج وطرق التدريس. عالم الكتب، الطبعة الثانية، القاهرة، مصر، 1999، ص.87.88.
- (12) حمدي على احمد، مقدمة في علم اجتماع التربية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1997، ص.390.
- (13) الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، وزارة التربية الوطنية، المركز الوطني للوثائق التربوية، التسرب المدرسي، سلسلة الملفات التربوية: موعدك التربوي رقم 06، الجزائر، 2001، ص.19.
- (14) محمد ارزقي بركان، مرجع سابق، ص.30.
- (15) أمينة هاشم سراج، مرجع سابق، ص.29. 30
- (16) السيد علي شتا، نادية عمر الجولاني، علم الاجتماع التربوي. مكتبة الإشعاع للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، 1997، ص.138.
- (17) فيصل خير الزاد، التخلف الدراسي وصعوبات التعلم. مطبعة سوريا، دمشق، سوريا، (د.ت)، ص.35.
- (18) هوغيت كاغلار، علم النفس المدرسي. تعريب فؤاد شاهين، عويدات للنشر والطباعة، ط2، بيروت، لبنان، 1999، ص.23.

- (19) حسين عبد الحميد احمد رشوان، التربية والمجتمع - دراسة في علم اجتماع التربية - مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 2005، ص.ص.186. 187.
- (20) سعيد آل عيد، نجلاء الدوسري، مرجع سابق.
- (21) سعيد آل عيد، نجلاء الدوسري، مرجع سابق.
- (22) فؤاد حيدر، علم النفس الاجتماعي - دراسات نظرية وتطبيقية - دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، 1994، ص.167.
- (23) السيد حنفي عوض، علم الاجتماع التربوي - الأسس النظرية والمجالات التطبيقية - دار المعرفة الجامعية، ط4، الإسكندرية، مصر، 1997. 1998، ص.ص.245. 246.
- (24) هو غيت كاغلار، مرجع سابق، ص.16.
- (25) محمد مصطفى زيدان، دراسة سيكولوجية تربوية لتلميذ التعليم العام. دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، ط2، المملكة العربية السعودية، 1983، ص.186.
- (26) محمد أيوب شحيبي، مشاكل الأطفال..! كيف نفهمها؟ الانحرافات الطفولية وسبل علاجها. دار الفكر اللبناني، ط1، بيروت، لبنان، 1994، ص.27.
- (27) لطيفة أبو ذينة، المشكلات النفسية والصحية والتحصيل الدراسي، "مجلة كلية الآداب، العدد 3، مركز صقر لخدمات الطباعة والتجهيز، الزاوية، ليبيا، 2006، ص.ص.217. 218.
- (28) فيصل خير الزاد، التخلف الدراسي وصعوبات التعلم، دار الفكر، دمشق، سوريا، (د ت)، ص.35.
- (29) محمد أيوب شحيبي، مرجع سابق، ص.27.
- (30) صبرة محمد علي، اشرف محمد عبد الغني، الصحة النفسية بين النظرية والتطبيق. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2005، ص.115.
- (31) محمد أيوب شحيبي، مرجع سابق، ص.36.
- (32) سعيد حسنى العزة، الإرشاد الأسري نظرياته وأساليبه العلاجية. مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الاردن، 2000، ص.48.
- (33) هو غيت كاغلار، مرجع سابق، ص.22.
- (34) عمر عبد الرحيم نصر الله، تدني مستوى التحصيل والانتاج اسبابه وعلاجه. دار وائل للطباعة والنشر، عمان، الاردن، 2004، ص.487.
- (35) محمد أيوب شحيبي، مرجع سابق، ص.28.
- (36) A . Adler, Ecole et psychologie individuelle comparée. PUF, PARIS1953, P, 38
- (37) محمد أيوب شحيبي، مرجع سابق، ص.37.
- (38) محمد أيوب شحيبي، مرجع سابق، ص.27.
- (39) لطيفة ابو ذينة، مرجع سابق، ص.ص.217. 218.
- (40) Gillet Robin, les difficultés scolaires chez. L'enfant. PUF, PARIS1953, P, 23.
- (41) محمد مصطفى زيدان، مرجع سابق، ص.185.
- (42) إحصان محمد الحسن، علم الاجتماع التربوي، دار وائل للطباعة والنشر، ط 1، عمان، الأردن، 2005، ص.157.